

## تفسير السعدي

@ 275 @ لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان الله وهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون \*

وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون \* وقالوا ه ذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون \* وقالوا ما في بطون ه ذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم \* قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ) ^ يخبر تعالى ، عما عليه المشركون المكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم ، من سفاهة العقل ، وخفة الأحلام ، والجهل البليغ . وعدد تبارك وتعالى شيئا من خرافاتهم ، لينبه بذلك ، على ضلالهم ، والحذر منهم ، وأن معارضة أمثال هؤلاء السفهاء للحق ، الذي جاء به الرسول ، لا تقدر فيه أصلا ، فإنهم لا أهلية لهم في مقابلة الحق . فذكر من ذلك أنهم ^ ( جعلوا الله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا ) ^ ولشركائهم من ذلك نصيبا . والحال أن الله تعالى ، هو الذي ذرأه للعباد ، وأوجده رزقا ، فجمعوا بين محذورين محظورين بل ثلاثة محاذير . منتهم على الله ، في جعلهم له نصيبا ، مع اعتقادهم أن ذلك منهم ، تبرع . وإشراك الشركاء ، الذين لم يرزقوهم ، ولم يوجدوا لهم شيئا في ذلك . وحكمهم الجائر ، في أن ما كان لله ، لم يبالوا به ، ولم يهتموا ، ولو كان واصلا إلى الشركاء . وما كان لشركائهم اعتنوا به ، واحتفظوا به ، ولم يصل إلى الله منه شيء . وذلك أنهم إذا حصل لهم من زروعهم وثمارهم وأنعامهم ، التي أوجدها الله لهم شيء ، جعلوه قسمين : قسما قالوا : هذا لله بقولهم وزعمهم ، وإلا فالله لا يقبل إلا ما كان خالصا لوجهه ، ولا يقبل عمل من أشرك به . وقسما ، جعلوه حصة لشركائهم من الأوثان والأنداد . فإن وصل شيء مما جعلوه لله ، واختلط بما جعلوه لغيره ، لم يبالوا بذلك . وقالوا : الله غني عنه ، فلا يردونه . وإن وصل شيء مما جعلوه لآلهتهم إلى ما جعلوه ، رده إلى محله . وقالوا : إنها فقيرة ، لا بد من رد نصيبها . فهل أسوأ من هذا الحكم . وأظلم ؟ حيث جعلوا ما للمخلوق ، يجتهد فيه وينصح ، ويحفظ ، أكثر مما يفعل بحق الله . ويحتمل أن تأويل الآية الكريمة ، ما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عن الله تعالى أنه قال : ( أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من أشرك معي شيئا تركته وشركه ) . وأن معنى الآية أن ما جعلوه ، وتقربوا به لأوثانهم ، فهو تقرب خالص لغير الله ، ليس لله منه شيء . وما جعلوه لله على زعمهم فإنه لا يصل إليه لكونه شركا ، بل يكون حظ الشركاء

والأنداد ، لأن ا غني عنه ، لا يقبل العمل الذي أشرك به معه أحد من الخلق . ومن سفه  
المشركين وضلالهم ، أنه زين لكثير من المشركين شركاؤهم أي : رؤوساؤهم وشياطينهم قتل  
أولادهم ، وهو : الوأد ، الذين يدفنون أولادهم وهم أحياء خشية الافتقار ، والإناث خشية  
العار . وكل هذا من خدع الشياطين ، الذين يريدون أن يردوهم بالهلاك ، ويلبسوا عليهم  
دينهم ، فيفعلون الأفعال التي في غاية القبح . ولا يزال شركاؤهم يزينونها لهم ، حتى تكون  
عندهم من الأمور الحسنة والخصال المستحسنة . . ولو شاء ا أن يمنعهم ، ويحول بينهم وبين  
هذه الأفعال ، ويمنع أولادهم عن قتل الأبوين لهم ، ما فعلوه . ولكن اقتضت حكمته ، للتخلية  
بينهم وبين أفعالهم ، استدراجا منه لهم ، وإمهالا لهم ، وعدم مبالاة بما هم عليه ، ولهذا  
قال : ^ ( فذرهم وما يفترون ) ^ أي : دعهم مع كذبهم وافتراءهم ، ولا تحزن عليهم ، فإنهم  
لن يضروا ا شيئا . ومن أنواع سفاهتهم أن الأنعام التي أحلها ا لهم عموما ، وجعلها  
رزقا ورحمة ، يتمتعون بها ، وينتفعون ، قد اخترعوا فيها بدعا وأقوالا ، من تلقاء أنفسهم  
 . فعندهم اصطلاح في بعض الأنعام والحرث أنهم يقولون فيها : ^ ( هذه أنعام وحرث حجر ) ^  
أي : محرم ^ ( لا يطعمها إلا من نشاء ) ^ أي : لا يجوز أن يطعمه أحد ، إلا من أردنا أن  
نطعمه ، أو وصفناه بوصف من عندنا . وكل هذا بزعمهم لا مستند لهم ولا حجة ، إلا أهويتهم ،  
وآراءهم الفاسدة . وأنعام ليست محرمة من كل وجه ، بل يحرمون ظهورها ، أي : بالركوب  
والحمل عليها ، ويحرمون ظهرها ، ويسموننها الحام . وأنعام لا يذكرون اسم ا عليها ، بل  
يذكرون اسم أصنامهم ، وما كانوا يعبدون من دون ا عليها ، وينسبون تلك الأفعال إلى ا ،  
وهم كذبة فجار في ذلك . ^ ( سيجزيهم بما كانوا يفترون ) ^ على ا ، من إحلال الشرك ،  
وتحريم الحلال ، من الأكل ، والمنافع . ومن آرائهم السخيفة أنهم يجعلون